حولية

كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنات بالإسكندرية

مجلة علمية محكمة
في البحوث الإسلامية والعربية

العدد الثالث والعشرون
١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م
١٤٢٨هـ

من وجوه البيان في حوار القرآن

بحث بقلم

د / سميرة عدلي محمد رزق

المدرس بقسم البلاغة

من بلاغة الحوار في النّظم القرآنيّ
دراسة بلاغيّة لمشهد حواري من مشاهده

ملخّص البحث

تتركّز الدراسة في هذا البحث في محورين أساسيين، يسبقهما تمهيد ويتلوهما خاتمة، ذكرت أهم النتائج في هذه الدراسة.

أما التمهيد فقد اهتم ببيان مفهوم الحوار في اللغة، إذ يعني مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة، ثم ذُكر مفهومه في الأدب وأهميته وشروطه.

ومن خلال هذين المفهومين وصل البحث إلى محوره الأول وهو مفهوم الحوار في القرآن الكريم وأهميته وموضوعاته وبيان الأطراف المتحاورة فيه، مع الإشارة إلى أرقام الآيات التي ورد فيها.

ثم انتقل البحث إلى المحور التطبيقي، وذلك من خلال الدراسة التحليلية البلاغيّة لمشهد حواري منه تمثّل في خواتيم سورة "المؤمنون" ويبدأ من الآية ٩٩ إلى ١١٨.

هذا وقد اهتمّت الدراسة بتوظيف علوم البلاغة الثلاثة (المعاني، البيان، البديع) في تحليل الآيات بدراسة الألفاظ ودقّة اختيارها ضمن السياق، وما أضفته عليه من ظلال وارفة وبلاغة فذّة، مع دراسة التراكيب وبيان بديع نظمها وعجيب تأليفها فضلاً عن أدائها المعنى في أوضح لغة وأبلغ عبارة.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد،

فالمعلوم أن القرآن الكريم معجزة رسولنا البيانية وكتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

ويشغل الحوار مساحة كبيرة من هذا الكتاب الكريم، تلفت النظر وتدعو إلى التفكير وجذب الانتباه إلى أهميته وأغراضه، فضلاً عن تميّز أسلوبه بالحيوية والحركة، مما يبعث في قارئه النشاط والتفكير الجاد في آن واحد.

ولا أدّعي أنني أوّل من التفت إلى دراسة الحوار في القرآن لهذا السبب، بل سبقني إليه نخبة من الباحثين النابهين، من أمثال محمد حسين فضل الله، في كتابه "الحوار في القرآن" – بيروت. الدار الإسلامية، سنة ١٩٧٩م، ومحمد رجب البيومي، في كتابه "البيان القرآني" – القاهرة. الدار المصرية اللبنانية. ٢٠٠١م، وحسين عيسى باطاهر في بحثه "طرق العرض في القرآن. الأهداف والخصائص الأسلوبية". جامعة الكويت. حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية. الحولية الثانية والعشرون. الرسالة ١٧٨، سنة ٢٠٠١-٢٠٠٢م.

ورغم ما ذكرت من دراسات سابقة أو غيرها، إلا أنني أشير هنا إلى أنّ هذه الدراسات لم تتناول مشهدا حواريًا كاملاً بالتّحليل البلاغيّ كما جاء في هذا البحث، بل إنّ كلّ ما جاء فيها كان عبارة عن دراسة عامة ومُستقيضة عن موضوع الحوار في القرآن الكريم، لذا فقد شعرت برغبة قويّة في دراسة "خواتيم سورة المؤمنون" وهي عبارة عن مشهد حواري كامل من مشاهد الحوار في القرآن تجلّى في الآيات

٩٩-١١٨ من السورة المذكورة، وهي دراسة بلاغيّة تحليليّة تأتي بعد ثمانية بحوث سابقة في نفس المجال، نُشِرَت في مجلاّت علميّة محكّمة، قامت بها الباحثة.

ولعلّ أهميّة هذه الدّراسة تعود إلى اختيارها الجانب التطبيقي التحليلي إلى جانب الناحية النظرية في دراسة الحوار نظرًا لحاجة الدّراسات البيانيّة في القرآن بصفة عامة إلى مزيد من عناية الدّارسين واهتمامهم.

هذا وقد جاء منهج الدراسة في هذا العمل المتواضع متّجهًا إلى محورين بسبقهما تمهيد ويتلوهما خاتمة مشتملة على أهم ما توصّل إليه البحث من نتائج.

وفي التمهيد عرّفت الدّراسة بمعنى الحوار في اللّغة، ثمّ بمفهومه الأدبي وأهميته وشروطه.

أمّا الجانب النظري وهو المحور الأول من هذه الدراسة فاهتم بمفهوم الحوار في القرآن الكريم وأهميته وطرقه وموضوعاته ثم بيان الأطراف المتحاورة فيه، وذلك من خلال قراءة القرآن الكريم كاملاً لذكر بعض هذه الآيات، أو الإشارة إلى أرقامها في السور ضمن الهامش - ومما نذكره هنا على سبيل المثال لا الحصر - بعض الأطراف المتحاورة في القرآن الكريم مثل حوار المولى عزّ وجلّ مع الملائكة، حواره مع أبي الأنبياء سيّدنا إبراهيم عليه السلام، ومع موسى عليه السلام... إلى آخر ما ورد في القرآن من هذا الحوار والذي اهتمّ البحث بالإشارة إليه في موضعه.

هذا وذكر البحث أيضًا الأطراف الأخرى المتحاورة فيه، كحوار الأنبياء مع أقوامهم أو ذويهم؛ منها حوار سيّدنا إبراهيم - عليه السلام- مع أبيه وقومه وغيره من الأنبياء، مثل حوار سيّدنا محمد - صلى الله عليه وسلم- مع قومه ورده على أسئلتهم - حسب ما علّمه الوحي، إذ لا ينطق عن الهوى - صلى الله عليه وسلّم- بل هو وحيٌ يوحى علّمه شديد القوى كيف يجيب في أسلوب حواري راقٍ يطرد العلل ويخلق الحيوية والنشاط، فضلاً عن احتواء هذه الآيات على المنهج التربوي الصحيح

أو الحدّ الشرعي المطلوب، أو القيم الخلقيّة الفاضلة التي لا يخلّ القرآن الكريم عنها لبثّها في المجتمع.

وإلى جانب الأطراف البشريّة المتحاورة لم يترك البحث الإشارة إلى الحوار الذي جاء على لسان غير البشر... مثل خزنة جهنم مع الكفّار، والهدهد، والنمل الكافر- مع نفسها.. إلى آخر ما كشف عنه البحث بالإشارة إلى آياته في القرآن الكريم.

ثم انتقلت الدراسة بعد ذلك إلى المحور الثاني - الجانب التطبيقي- وهو لُبّ البحث وجوهره بل السبب الرئيس في إقامة هذا العمل، وهو دراسة حواتيم سورة "المؤمنون" من الآية ٩٩ إلى الآية ١١٨ - إذ تمثّل هذه الآيات تصويرًا حيويًا مؤثرًا لمشهد حواري كامل من مشاهد الحوار في القرآن الكريم، وهو موقف الكافر بين يدي مولاه - عزّ وجلّ- منذ لحظة الموت الحاسمة وحتى يوم البعث والحساب.

وهكذا ذكر نصّ الآيات أولاً ثم اتّبع في دراستها المنهج الآتي:

أ- توضيح المعنى العام لها.

ب- بيان مناسبة الآيات للسياق في السورة الكريمة.

ج- دراسة الآيات وتحليلها بيانيًا، وهنا ركّز العمل فيها على نقطتين:

أولاهما: دراسة ألفاظ الآية لغويًا، وبيان اختلاف النُحاة في موقعها وذلك فيما يخدم غرض البحث، كبيان المعنى المترتّب على ذلك الاختلاف، ثم دراسة دقّة اللفظ وأهميّة اختياره في السياق وتفضيله على مُرادف له، لبيان بلاغته في موضعه.

ثانيتهما: دراسة التراكيب في الآية، وذلك من خلال توظيف علوم البلاغة الثلاثة في هذه الدراسة (المعاني، البيان، البديع) للاستفادة منها في تلمّس بعض أسرار التعبير القرآني المعجز في كل آية من المشهد المذكور.

هذا وقد ذُيِّلت الدراسة بتعقيب وموازنة، ذُكر في الأول منها العبرة المستفادة من آيات هذا المشهد المؤثر، وأما الثاني فأشير فيه إلى بعض الآيات والمشاهد الأخرى، التي عرض فيها القرآن الكريم نفس الفكرة بأسلوب يليق بموضوع السياق الذي عُرضت فيه، ولعلّ الهدف من ذلك هو بيان تميّز وتفوّق الأسلوب القرآني في عرض الموضوع الواحد بأكثر من طريقة مع تفرُّده في هذا العرض وإعجازه المبهر.

أما الخاتمة، فاحتوت ببيان أهم ما توصّلت إليه هذه الدراسة من ملحوظات ونتائج.

وبالله التوفيق والسداد.